

العوامل المؤثرة باكتساب اللغة

لما كانت الخبرة اللغوية ثمرة التفاعل بين الفرد والمحيط فالعوامل المؤثرة باكتساب اللغة تعود إلى الفرد نفسه والبيئة الداخلية والبيئة الخارجية التي يعيشها فيها، فالذكاء والمرض والفرق بين الجنسين... تلعب دوراً في ذلك.

- **القدرات العقلية:** تبين الأدلة التجريبية أن هناك علاقة قوية بين ذكاء الطفل كما يقاس وفق اختبارات الذكاء وتطور الطفل اللغوي فالأطفال المعتمهين الذين لا تتجاوز نسبة ذكائهم ٢٥، لا يتمكن على الإطلاق من الكلام، أكدت أبحاث ميد أن الطفل العادي يبدأ الكلام في عمر ١٥ شهراً ويقصد بذلك نطق الألفاظ بطريقة صحيحة وفهم معناها وعند ضعف العقول يتأخر الكلام حتى سن ٣٤ شهراً. وتدل أبحاث تيرمان على أن الطفل الموهوب يبدأ الكلام في عمر ٧-١١ شهراً تقريباً، ويرتبط المحصول اللغوي عند الأطفال بنسبة ذكائهم حتى أنه يعتبر مؤشر لقياس الذكاء.

فالنتائج السابقة لا تمكننا من استنتاج أي العاملين السبب وأيهما النتيجة بمعنى هل أخرهل تفوق الشخص لغوياً يجعله يحصل على درجات أعلى في اختبارات الذكاء أم أن ارتفاع ذكائه هو المسؤول عن سرعة تطوره اللغوي.

- **البيئة الاجتماعية:** تشير أبحاث لودر أن الأطفال الذين ينتمون إلى بيئات اجتماعية غنية في المثيرات يتكلمون تلقائياً ويعبرون بوضوح عن آرائهم بشكل أبكر من الأطفال الذين ينتمون إلى بيئات فقيرة، فحاكاة الطفل إلى الوسط الاجتماعي الذي يحيا فيه على جانب كبير من الأهمية في اكتساب اللغة لأن اللغة أداة للأصهار الاجتماعي والاتصال مع الآخرين وتلبية حاجات الآخرين وإرضائها. لذلك الأم تلعب دوراً كبيراً في اكتساب اللغة لطفلها. فقد أشارت آنا فرويد بأن أطفال المعاهد قد يتأخر لديهم الكلام حوالي ٦ أشهر مقارنة بأقرانهم الذين تربوا عند أهلهم، كذلك أكدت بأن الطفل سرعان ما تضعف لديه موهبة الكلام عند ابتعاد أمه عنه.

كذلك أكدت أبحاث مكارثي أن الطفل الوحيد يكتسب اللغة بسرعة أكبر نظراً للتشجيع والعطف والحنان الذي يتلقاه من الوالدين وإذا انتفى هذا التشجيع قد يؤدي بالطفل إلى تعثر في اللغة وظهور بعض اضطرابات الكلام مثل التأتأة والتلعثم والارتباك.

فالرصيد اللغوي للطفل يعكس المحيط الذي نشأ فيه وليس المقصود بهذا الرصيد حجم المفردات فقط وإنما اتساع أفقها وعمق معانيها إذ أن الطفل في اكتساب اللغة يواجه أمرين:

- اكتساب شكل الألفاظ والتعبير اللفظية

- اكتساب ما تتضمنه تلك الألفاظ من خبرات ومعاني.

فإذا كان الوسط فقيراً نشأ الطفل فقيراً في مضمون ومعاني الكلمات بينما إذا كان غنياً اقتبس الطفل الكثير من الخبرات والأنشطة السائدة في المحيط ومن أهم هذه الخبرات التي يتعرض لها الطفل /السفر والأحداث التي توسع خبرات الطفل، عمر الأشخاص المحيطين بالطفل والوقت الذين يقضونه معه، دور الرعاية للأطفال./

المرض: هناك بعض الأمراض التي تصيب الأطفال في السنوات الأولى من عمرهم تؤخر نموهم اللغوي لاسيما الأمراض التي تتصل بجهاز السمع والكلام والأمراض المزمنة فالصمم الجزئي والكلي يحول بين الطفل والتقليد الصحيح للألفاظ والعبارات التي يستخدمها في حياته اليومية ولا يكاد يبتين مخرجها.

في دراسة قام بها سميث على مجموعتين من الأطفال، المجموعة الأولى من الأطفال المرضى الذين أصيبوا بأمراض مزمنة مختلفة في حياتهم الأولى والمجموعة الثانية من الأطفال الذين يتساوون مع المجموعة الأولى بكل العوامل المؤثرة في النمو اللغوي باستثناء المرض، دلت النتائج أن متوسط عمر بدء الكلام يبلغ ١١.١ شهراً عند المجموعة الأولى و ١٠.٢ شهراً في المجموعة الثانية.

السلوك المضاد: يبالغ بعض الأباء في تدريبهم أبنائهم على الكلام في سن مبكرة، وذلك قبل وصولهم إلى مراحل النمو المناسبة لتعلم الخبرة الجديدة ويخفق الطفل في تلبية احتياجات والديه لعدم وصوله إلى النضج الكافي ويؤدي ذلك عن الكلام ويسلك سلوكاً عكسياً مضاداً ويتطور معه هذا السلوك الاحكامي إلى تجنب الكلام مع الآخرين بعد نضجه اللغوي. وتقول أزاكس أن قلق الطفل نتيجة شعوره بخيبة الأمل والحرمان يسبب له عيوب في الكلام.

عامل العرق: وصلت الدراسات إلى نتائج متناقضة حول المقارنة في الأطفال الذين ينتمون إلى أعراق وأجناس مختلفة بعضها يؤكد تفوق الأطفال من عرق أبيض على الأطفال السود في مختلف جوانب التطور اللغوي وهناك دراسات أخرى أكدت عدم وجود فروق بين الأطفال السود والبيض في نمو اللغة. إلا أن كافة الدراسات كشفت أن التطورات اللغوية هي نفسها لدى الأطفال بغض النظر عن العرق والجنس الذي ينتمي إليه الطفل.

أزدواجية اللغة: هل من المفيد أم الضار للتطور اللغوي للطفل أن يتعلم لغتين في الوقت نفسه / لغة أجنبية بالإضافة إلى لغته الأم/ خلال الفترة الحرجة من التطور اللغوي. هناك أطفال يراد لهم تعلم أكثر من لغة في نفس الوقت (لغتين مختلفتين) في سن مبكرة يتأخرون في نموهم اللغوي، لأن لكل لغة صفاتها الخاصة تميزها عن الأخرى ولهذا يخلط الطفل بين اللغتين في ألفاظهم وتعابيرهم فيتأخر نموه في كليهما وهناك باحثين آخرين مثل تشومسكي يرون اكتساب أكثر من لغة في سنوات العمر الأولى يعتبر فترة ذهبية لأن الكفاية اللغوية تكون في ذروتها.

الأدلة العلمية وصلت لنتائج متناقضة ولعل أهم ما كشفت عنه:

- التطور اللغوي للأطفال الذين تعلموا لغتين في الوقت ذاته متأخراً عنه لدى الأطفال الذين يتعلمون لغة واحدة.

- تزداد نسبة الذين يعانون من مشكلات لغوية كالتأتأة وغيرها عند الأطفال الذين تعلموا لغتين في الوقت ذاته.

- يفضل ادخال اللغة الثانية بعد تخطي الطفل المراحل الحرجة في النمو اللغوي لأن الآثار السيئة لادخال اللغة الثانية تزداد في الأعمار الحرجة.

- يفضل أن يسمع الطفل كل لغة باستمرار من مصدر واحد، أي يتلقى لغة على الدوام من الأب واللغة الثانية من الأم

الفروق الجنسية: تشير أبحاث ميد أن متوسط بدأ الكلام عند الأطفال الإناث سن ١٤.٨ شهراً بينما يكون عند الذكور ١٥.٧ شهراً، كذلك تؤكد أبحاث مكارثي أن الاستجابات المفهومة عند الذكور تبلغ ١٤% في عمر ١٨ شهراً وتبلغ ٣٨% عند الإناث من نفس العمر

فالبنات أكثر تقدماً من البنين في عملية اكتساب اللغة بسبب كثرة الوقت الذي تقضيه البنات بجانب أمها بينما ينصرف الذكور إلى اللعب. هذا ينطبق على الفتيان والفتيات من كافة الثقافات والمستويات الاقتصادية والاجتماعية والقدرات العقلية فالفرق لها دلالة لصالح الإناث

اللغة والوراثة:

يسأل الباحثون كيف يتم اكتساب اللغة؟ هل اللغة؟ هل اللغة غريزة نتعلمها تلقائياً؟ ما ذا يحدث لوأن طفلاً عاش بعيداً عن المجتمع البشري؟ كيف تحدث عملية اكتساب اللغة؟

تؤكد الدراسات أن تأخر الأطفال في السنوات الأولى من العمر عن اكتساب اللغة تُعذر تعليمهم اللغة في مرحلة لاحقة إلا بشكل محدود.

تم الإشارة إلى أول المحاولات في كتاب / طفل الذئب وطفل الإنسان/ للسيد -جيل- كان يروي قصة طفلتين هندية عاشا معاً في حجر للذئبة وقد تم حملهم إلى ملجأ للإيتام بعد قتل الذئبة. ماتت الطفلة الصغيرة مباشرة، بقيت الكبرى التي كان عمرها ٨ سنوات وكانت تسلك سلوك الذئب، تمشي على أربع، تنام في النهار وتنشط في الليل، لم تكن تخشى الظلام، تعوي عواء الذئب في ساعات محددة من الليل، تكشر عن انيابها عند اقتراب أحد منها، تشرب الماء لعقاً.

بعض مضي سنتين من إجراء تدريبات متواصلة تمكنت من الوقوف على قدميها مع إغراء، تناولت طبق الطعام في اليدين، نطق أول كلمة /ما/ بعد مضي ٣ سنوات ووقفت على قدميها لوحدها بدون إغراء، أصبحت تخشى الظلام، تشرب بالكوب بطريقة البشر، وأصبح رصيدها اللغوي ٣٠ كلمة بعد مرور ٦ سنوات، كذلك أبدت الحياء فأصبحت ترفض الخروج من الغرفة بدون ملابس. بعد ٧ سنوات أصبحت تخشى الكلاب عند نبجها، بلغ رصيدها اللغوي ٤٥ كلمة وماتت بعمر ١٧ سنة يتضح من ذلك:

- لا يكتسب الطفل اللغة إذا عاش بعيداً عن المجتمع.

- العيش مع الحيوان يكسبه السلوك الحيواني.

- التأخر في اكتساب اللغة بعد سنوات العمر الأولى يصعب على الفرد اكتسابها.

- اكتساب المشي والطعام يتم في الوسط البشري وليس وراثياً.

- اللغة هي التي تعين السلوك والطفل المحروم من اللغة محروم من الفهم.

- الأجهزة الصوتية لدى الإنسان تساعد على اكتساب اللغة.

- الاستعداد لدى الطفل لاكتساب أي اللغة يظهر واضحاً.

- يكتسب الطفل لغة المجتمع الذي يحيا فيه.

الخلاصة: لدى الكائن البشري استعداد لتعلم اللغة واكتسابها ويلعب المجتمع البشري دوراً في إطلاق هذا الاستعداد.

الحصيلة اللغوية:

عندما يتلقى الفرد اللغة ويتلفظها ويدرك مدلولات المفردات والمعاني والتراكيب يسهل عليه فهم واستيعاب الجمل والمفردات ويساعد على زيادة حصيلته اللغوية.

يمكن تلخيص النتائج الايجابية التي تترتب على ثراء اللغة وتنامي الحصيلة اللغوية.

١- زيادة الخبرات والمعارف والمهارات التي يكتسبها الفرد على أساس أن الكلمة هي الوسيلة الأولى التي يتخاطب بها الفرد ويستخدمها لنقل تجاربه ومعارفه وخبراته.

٢- الآثار النفسية التي تتمثل بزيادة الثقة بالنفس فالشخص الذي يقل محصوله من الألفاظ والمعاني تقل قدرته على التعبير والتواصل والتكيف ويؤدي إلى الشعور بالنقص وعدم تقديره لذاته ودخوله بالاكنتاب ورغبة بالانسحاب الاجتماعي والعزل ثم الفصام.

٣- يساعد على فهم وإدراك الفرد لما يقرأه فالقدرة على القراءة والكتابة والتخاطب تضاعف الخبرات والتجارب اللغوية لدى الفرد.

٤- بناء ثقافة أصيلة ممتدة الجذور فاللغة الحالية ليست إلا امتداد للغة التراث والأجداد وأن حصل عليها بعض التغيير.

٥- تصبح الحصيلة اللغوية أكثر تداولاً نتيجة التواصل مع الآخرين واستخدام هذا الاتصال يؤدي لجعل المفردات والتراكيب والصيغ أكثر تداولاً وحضوراً.

٦- بناء الشخصية الاجتماعية النافذة التي تتمتع بروح القيادة وذلك من خلال التفاهم مع الآخرين المقرون بالقدرة على الإبداع والإلقاء البليغ.

يمكن تلخيص السلبيات الناجمة عن النقص في الحصيلة اللغوية:

١- العزلة الاجتماعية: الإنسان بفطرته لديه ميل إلى الانتماء إلى الجماعات، ويقوم بالعلاقات مع الأفراد المجموعة ويتبادل المشاعر والأفكار ووسيلته بذلك هي اللغة، فالشعور بالعجز لعدم تحقيق المصالح التي يطمح لها يؤدي إلى الانطواء نحو الذات وعقدة نقص وتخلف عن مستوى الآخرين ربما تكون عزلته ناجمة عن خوفه وقلقه بالخطأ في التعبير عن المشاعر وبالتالي التعرض لمواقف محرجة.

٢- اضطراب في الشخصية: عدم التعبير عن الأفكار بشكل طليق والعجز عن التواصل والتخاطب يؤدي الشعور بالنقص والدونية وصراعات وإحباطات متكررة وبالتالي يصاب الفرد باضطرابات في الشخصية تظهر بشكل سلوك منحرف لديه، فمن المشاكل الأساسية التي يعاني منها الأشخاص المضطربين العجز في التعبير عن متاعبهم وصعوباتهم في ألفاظ.

٣- ضيق الأفق الثقافي والفكري: المفردات اللغوية هي وسيلة الإنسان لنقل أفكاره وإيصالها إلى الآخرين، كذلك اللغة الوسيلة لنقل المعارف من جيل إلى جيل ومن شعب إلى آخر دوت هذه الوسيلة لا تبقى إلا لغة الإشارة. فالعجز عن امتلاك هذه الوسيلة يجعله يتعثر في فهم ما يسمع وما يقرأ وبالتالي احجابه عن ذلك.

٤- ضعف وضحالة النتاج الفكري: الابداع يعني الخلق والاتيان بشيء جديد لم يكن موجودمن قبل، ويتطلب القدرة على التخيل وهو قائم على أساس ما يجنيه من ثمار لتجارب وخبرات الآخرين ويعيد صقلها مرة أخرى وهو عبارة عن /إنتاج الفكرة القديمة بارتباطات جديدة/. يقول بيرت / توليد الفكرة الأبداعية يجب أن يتطلب أفكار غزيرة جداً فالغزارة القليلة في الأفكار غير كافية/. فالضعف في الابداع والانتاج ناتج عم الضعف في الحصييلة اللغوية.

٥- الازدواجية اللغوية: قصور اللغة الأم عند الشخص يشجعه على التشبث بلغة أخرى /أجنبية/ وبالتالي نشوء ازدواجية للغة، مثل هذا الاختلاف والاختلاط اللغوي يجعل الفرد في صراع نفسي وثقافي لا يدري إلى أي ثقافة ينتمي ولا إلى أي ثقافة يعود فهو في صراع ليختار بين الصواب والخطأ والحلال والحرام والمقبول وغير المقبول.